لغز السهم الفضي



محمود سالم

لغز السهم الفضي

تأليف
محمود سالم



لغز السهم الفضي

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٥٣٧ ١

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٧.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

المحتويات

محاولة للعثور على طرف الخيط

كان الاجتماع في حديقة منزل «عاطف» اجتماعًا هامًّا ومثيرًا ... فقد حضره كلُّ المغامرين والمفتش «سامي» والشاويش «علي» و«زنجر» أيضًا الذي كان يعتقد أن له دورًا كبيرًا في المغامرة القادمة ... لقد أدرك من المناقشات التي سمعها أن المغامرين في هذه المرة لا يبحثون عن مغامرة كالعادة ... بل إن المغامرة موجودة.

وكان ذلك صحيحًا ... فقد كان حديث المفتش «سامي» يدور حول اللغز الماضي والذي كان اسمه «لغز بلا نهاية» ... وقال المفتش: نعم ... فقد هرب زعيم العصابة في ذلك اللغز دون أن نقبض عليه!

قالت «نوسة»: إن لنا مغامرة سابقة استطاع فيها الزعيم أن يهرب ... ولكننا عثرنا عليه بعد ذلك!

المفتش: نعم ... إن كثيرًا من حوادث الحياة تتكرر ... ولذلك يقولون: إن التاريخ يعيد نفسه.

تختخ: أعتقد أننا إذا لخصنا اللغز الماضي، وبحثنا في التفاصيل، ربما استطعنا أن نجد خيطًا يقودنا إلى الرجل الذي هرب.

المفتش: اللغز الماضي يتلخص في أن رجلَين مجهولَين خطفَا صديقتكم «سماء»؛ لأنها سمعت منهما حديثًا لم يكن لها أن تسمعه ... وشاهدت شيئًا لم يكن لها أن تراه.

لوزة: لقد تم ذلك بالمصادفة!

المفتش: نعم ... ظلام السينما ... وقد خطفوها من السينما بطريقة مبتكرة، وقد استطاعت أن تترك مع بائع اللب الجالس أمام السينما بضعَ كلمات قادَتْنا إلى ركن حلوان حيث عثرنا على أول أثر لهذه العصابة، وقد استعدنا «سماء» التي كانت تعيش في يخت

على مياه النيل. ولكن زعيم العصابة الذي يسمونه «الخواجة» استطاع الفرار بأن ألقى بنفسه في النيل … وبرغم أننا بذلنا جهدًا كبيرًا في البحث عنه فإننا لم نعثر عليه.

عاطف: ولكن قبضتم على بعض أفراد العصابة؟

المفتش: نعم … ولكن هؤلاء لا يعلمون شيئًا عن «الخواجة» … أكثر من أنه استعان بهم في إخفاء «سماء» … وقد ظنوا أنها جريمة خطف … ولكن الذي أعتقده أنا أنها قضية جاسوسية من الدرجة الأولى.

محب: إن ما شاهدته «سماء» في السينما كان شيئًا يُشبه السهم، ولكن بشكل معقد … فهل هذا الشيء هو ما تظن أنه يدل على قضية جاسوسية؟

المفتش: تمامًا … إن اهتمام العصابة بخطف «سماء» يدل على أهمية الشيء الذي شاهدته.

محب: هل هو مثلًا نموذج لصاروخ؟

المفتش: هذا ممكن جدًّا … فهناك تجارب الآن تُجرَى على صواريخ حربية، وقد يكون هذا الجاسوس قد حصل على نموذج مصغر لها … وفي هذه الحالة فإن أمامنا واجبًا قوميًّا يُحتِّم علينا القبض عليه ومنعه من مغادرة البلاد!

نوسة: هل قمتم بالبحث على شواطئ النيل؟

المفتش: بالطبع … لقد فتشنا الناحيتَين … فلم نعثر للرجل على أثر.

وسوف نعتمد على ذاكرة «تختخ» في رسم صورة له … فقد شاهده «تختخ» في الصالون داخل اليخت … أليس كذلك يا «توفيق»؟

رد «تختخ»: نعم … وسوف أقوم بمحاولة مع «عاطف» الذي يجيد الرسم، وعندما ننتهي من الصورة سأحدثك تليفونيًّا!

المفتش: اتفقنا … وسنوزع نُسَخًا من الصورة على جميع رجالنا للبحث عنه! وقام «المفتش» واقفًا، وانتهى الاجتماع الهام … وخرج المغامرون الخمسة يودِّعون صديقهم الكبير حتى باب الحديقة، وعندما عادوا إلى أماكنهم أسرع «عاطف» يحضر حامل الرسم ووضع عليه بعض الأوراق السميكة البيضاء … وجلس «تختخ» وحوله بقية المغامرين وقال: وجه الرجل قصير … أقرب إلى أن يكون مربعًا … وبدأ قلم «عاطف» يعمل على الورق، وكلما انتهى من جزء من الوجه سأل «تختخ» رأيه فيه … حتى اقتربت ساعة الغداء، فانفض الجميع على أن يعاودوا المحاولة في المساء … واتجه «تختخ» وخلفه «زنجر» على الدراجة إلى منزله … ولم يكَد يدخل حتى دقَّ جرس التليفون، وكانت المتحدثة هي «سماء».

قالت «سماء»: إن والدتي ووالدي يدعوانكم جميعًا إلى تناول الشاي معنا اليوم في السادسة.

فكر «تختخ» قليلًا ثم قال: إن هذا يُسعدنا ... وبالمناسبة نحن نُعدُّ رسمًا لوجه زعيم العصابة التي اختطفتك، وسيكون من المفيد جدًّا أن تُلقيَ عليه نظرة ... فأنت رأيته فترة طويلة ... ويمكنك أن تُدليَ ببعض الأوصاف الدقيقة.

سماء: نعم ... بالطبع يجب أن أساعدكم في القبض عليه ... إن لديَّ معلوماتٍ عنه قد تهمُّكم، سمعتُها في أثناء فترة الخطف!

تختخ: عظيم ... عظيم جدًّا ... لقد كان مفيدًا أن تتصلي ... وسنكون عندكم في السادسة تمامًا ... فإلى اللقاء.

اتصل «تختخ» ببقية المغامرين، وروى لهم ما دار بينه وبين «سماء»، وطلب منهم أن يكونوا عند فيلا «سماء» في السادسة ... وفي الموعد المحدد كان المغامرون الخمسة هناك ... ومعهم «زنجر» الذي كان صاحبَ الفضل في اكتشاف أول أثر أدَّى إلى العثور على «سماء»، وعندما دخل المغامرون الحديقة كانت مفاجأة لهم أن وجدوا حفلًا رائعًا قد أُعدَّ ... كانت الحديقة جميلة كأنها لوحة رسمها فنان عظيم ... والموسيقى الخفيفة تنبعث من بين الأشجار ... وفي ركن منها وُضعت مائدة مستديرة عليها عشرات من أصناف الجاتوهات والكعك والتورتة والفاكهة حتى لقد أحسَّ «تختخ» بمعدته تتقلص ... ولم يَفُت «محب» أن يغمزه بإصبعه في بطنه وهو يقول: ستخرج من هنا ضعف حجمك الحالي!

قال «تختخ» متضايقًا: إنك لا تدَع فرصة تمر دون أن تشير إلى هذا!

محب: أراهنك على أنك لا تستطيع أن تتوقف عن الأكل حتى نخرج!

قطع الحوارَ ظهورُ «سماء» في فستان أبيض أنيق ومعها صديقتها «نسمة» التي كانت أول مَن اتصل بالمغامرين للاشتراك في إنقاذ «سماء».

وظهر والد «سماء» ووالدتها ... ورحبوا جميعًا بالمغامرين الخمسة، وقالت الأم: إنني لن أنسى لكم هذا الجميل أبدًا ... إنكم أولاد في منتهى الذكاء ... وقد أنقذتم «سماء» من براثن هذا الرجل.

وأضاف الأب: نعم ... إننا أسرَى فضلكم.

ردَّت «نوسة»: إن «سماء» أختنا وما كنا نتأخر عن المساهمة في إنقاذها!

أشارت الأم إلى المائدة العامرة وقالت: تفضلوا ...

كان «عاطف» يحمل ما رسمه ... فوضعه جانبًا، واتجه الجميع إلى المائدة، وسرعان ما كانت الشوك والسكاكين تعمل بانتظام بين قطع الجاتوه اللذيذة وأفواه المغامرين ...

ونظر «محب» إلى «تختخ» فوجده يضع قطعة ضخمة من التورتة في فمه، وتلاقَت نظراتهما وابتسم «محب».

وبعد نحو ساعة انتهوا جميعًا من تناول الشاي والجاتوه ... وقاموا ... ولاحظ الجميع أن «تختخ» ما زال منهمكًا في الأكل ... وأسرعت «نوسة» إليه وهمست في أذنه: يكفي هذا يا «تختخ»!

ونظر «تختخ» حوله فلم يجد سواه على المائدة، فأسرع بالقيام وهو يُتمتم بكلمات الاعتذار.

ودخلوا إلى الفيلا، وكان الظلام قد بدأ يهبط ... وفي غرفة الصالون الواسعة نصب «عاطف» أدوات الرسم ... ثم أخذ يعرض عليهم ما فعله ... وأخذت «سماء» تتأمل ما رسمه بدهشة ثم قالت: لقد استطعت أن ترسم لـ «هانز» صورة جيدة!

قال «تختخ» مندهشًا: هانز؟!

ردَّت «سماء»: نعم ... كانوا ينادونه «هانز».

تختخ: مَن هم؟

سماء: الرجلان اللذان اختطفاني ... أما بقية الرجال وهم جميعًا من أصحاب القوارب فلم يكونوا يرونه ... فقط كانوا يُطلقون عليه اسم «الخواجة»!

تختخ: هذا كلام هام جدًّا!

أشارت «سماء» إلى أُذُنَي الرجل وقالت: كانت أُذُناه أكبر من هذا ... ومائلة إلى الأمام ...

علَّق والدها قائلًا: هذا ما يسمونه بالأُذُن الخفاشية نسبة إلى الخفاش!

زاد اهتمام «تختخ» بحديث «سماء» وأخذ «عاطف» يضيف ما طلبته إلى الرسم ووقف الجميع يرقبون ما يحدث باهتمام ... لقد أضيف إلى العينين حول خفيف وإلى الشفتين إضافة بسيطة في الارتفاع ... وبعد نحو ساعتين كان عند المغامرين صورة واضحة جدًّا لـ «هانز»!

وشكر المغامرون «سماء» ووالدَيها على الحفل الجميل ... ومشَت معهم «سماء» تُودِّعهم حتى الباب الخارجي ... وبينما كان «تختخ» يصافحها قال: هناك شيء بسيط آخر لا أدري ما إذا كان يهمُّك؟!

تختخ: كثيرًا ما تكون أتفه الأشياء في الألغاز والمغامرات من أهم ما يكون!

سماء: لقد كان «هانز» يشكو من أسنانه ... كان طوال الوقت يتألم ويتأوه!

توقف «تختخ» عن السير وقال: هذه معلومات هامة جدًّا!

سماء: وكان أحد الرجلين الآخرين يُدعَى «جاك» يعرج في مشيته …

تختخ: هذا كلام شديد الأهمية، هل هناك شيء آخر؟

سماء: لا أتذكر الآن شيئًا آخر … إذا تذكرتُ شيئًا فسوف أخبرك به.

وركب الأصدقاء دراجاتهم بعد أن شكروا «سماء» ووالدَيها على الدعوة الكريمة … واتجهوا إلى حديقة منزل «عاطف» … كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة مساءً فقال «محب»: هل عندنا ما نفعله؟

تختخ: لا شيء إلا إخطار المفتش «سامي» بأننا أعددنا صورة «هانز» … وأن هناك معلومات جديدة … هي أن «هانز» كان يعاني من أسنانه وأن المدعو «جاك» كان يعرج!

عاطف: سأحضر لك التليفون وأخبر المفتش بذلك!

وأحضر «عاطف» التليفون … وسرعان ما كان «تختخ» يتصل بالمفتش «سامي» الذي قال: إنها معلومات هامة حقًّا … فمن المؤكد أن «هانز» لا يستطيع علاج أسنانه بنفسه … ولا بد أنه لجأ أو سيلجأ إلى طبيب أسنان للعلاج … وهذه فرصتنا لنضع يدَنا على طرف جديد للخيط قد يؤدي إلى العثور عليه!

تختخ: والصورة؟ متى أُرسلها لسيادتك فهي أولى خطواتنا في العمل؟!

المفتش: سأرسل لكم الشاويش «علي» لأخذها … وإرسالها لي … وسوف تطبع منها كميات نوزعها على رجال الشرطة وأطباء الأسنان في كل مكان!

بعض الاستنتاجات والأبحاث

لم تمضِ سوى نصف ساعة حتى كان الشاويش «علي» يقف على باب حديقة المنزل ... ثم دخل في خطواته العسكرية القوية ... ولم يتبادل مع المغامرين أيَّ حديث؛ فقد أخذ الرسم وخرج ... وقال «تختخ» معلقًا: كان الشاويش متعاونًا معنا في القسم الأول من هذه المغامرة، ويبدو أنه ندم على ذلك.

لوزة: الشيء المدهش أنني أحب الشاويش «علي» برغم خشونته الظاهرة!

محب: إننا جميعًا نحبه ... وأنا شخصيًّا أشتاق إليه، وكلما مرت بنا مغامرة دون أن أراه، أحس أن في المغامرة نقصًا.

عاطف: علينا إذن أن نوجِّه الدعوة للشاويش للحضور بمناسبة وجود لغز جديد مثلًا ... أو بداية مغامرة ... بل إنني أقترح أن نُرسل له باقة ورد بعد نهاية كل قضية!

تختخ: دَعْك من هذه الخرافات يا «عاطف» ... وتعالوا نفكر في نقطة هامة، هل لاحظتم ما قاله المفتش «سامي» عن اختفاء الخواجة «هانز».

التفت المغامرون الخمسة إلى «تختخ» الذي لاحظ أن وجوههم لا تحمل أية إجابة.

فقال: لقد قال المفتش «سامي» ... إن رجاله بحثوا على ضفتَي النيل عن الخواجة «هانز» دون جدوى ... ونحن نفترض طبعًا أن رجال المفتش قد فتشوا جيدًا، وسألوا الناس الموجودين على الضفتَين.

محب: ماذا تقصد؟

تختخ: أقصد أن «هانز» ... إذا لم يكن قد وصل إلى الضفتَين فليس أمامه إلا احتمالان ... الاحتمال الأول أن يكون قد غرق في النيل ... والاحتمال الثاني أن يكون قد وجد مَن ينقذه ... أي وجد قاربًا مارًّا بالقرب منه فركب فيه سواء برضا صاحبه أو بالرغم منه.

بدا على وجه المغامرين الاقتناع بهذا الاستنتاج وقال «تختخ»: فإذا كان «هانز» قد غرق فقد أخذ سرَّه معه ... ولم يبقَ لنا إلا إسدال الستار على القصة كلها ... أما إذا كان حيًّا فعلينا ألَّا ننتظر تحريات المفتش «سامي» ورجاله عنه عند أطباء الأسنان.

لوزة: نسيت شيئًا يا «تختخ»، إن «هانز» لم يكن يعمل وحده، كان معه كما قالت «سماء» رجلان آخران.

تختخ: إنني لم أنسَ هذه النقطة ... فنحن نعرف أن رجال الشرطة قبضوا على أفراد العصابة ... ولم يكن بينهم أحد من الأجانب ... بل كانوا جميعًا من المراكبية الذين يعملون على شاطئ النيل ... فالرجلان إذن قد هربَا سواء مع «هانز» أو وحدهما، وقد تم استجواب المقبوض عليهم واتضح أنهم جميعًا لا يعرفون مهمة «هانز» الحقيقية.

نوسة: أظن أننا استنتجنا مع المفتش «سامي» ما هي مهمة «هانز»؟ إنها مهمة جاسوس.

تختخ: أظن ذلك!

ونظر «تختخ» إلى ساعته ثم قال: لقد تأخر بنا الوقت فلننصرف الآن وموعدنا غدًا في التاسعة صباحًا.

ووافق المغامرون ... وبدءوا الانصراف ... «محب» وشقيقته «نوسة» و«تختخ» ومعه «زنجر» ... وعندما وصل «تختخ» إلى البيت وجد أن المفتش «سامي» قد اتصل به ... فأسرع إلى التليفون وطلبه.

قال المفتش «سامي»: إن رجالي مسحوا كلَّ المناطق المحيطة بمكان فرار «هانز» وعصابته فلم يعثروا على أي شيء ... وقد وصلتني النتيجة منذ دقائق وأردت أن أُحيطك علمًا بذلك، وفي الوقت نفسه نبحث عند أطباء الأسنان!

تختخ: كنت أتوقع شيئًا من هذا ... ولكن هناك استنتاجات جديدة توصَّلْنا إليها أنا والمغامرون!

المفتش: ماهي؟

تختخ: إن استنتاجاتنا تقول إذا لم يلجأ «هانز» إلى الشاطئ بعد أن ألقى بنفسه في النيل، فهو إما مات غرقًا أو وجد مَن ينقذه.

المفتش: معقول جدًّا.

تختخ: وعلينا أن نعمل باحتمال أن «هانز» ما زال حيًّا، وأن شخصًا ما قد أنقذه، سواء أعرف حقيقته أم لا، وهذا الشخص حتمًا كان يمر بقاربه عندما عثر على «هانز» في المياه فأخذه معه!

المفتش: كل هذا معقول ... ولكن كيف يمكن إثباته؟

تختخ: إنني أرجو أن يقوم رجالك بالبحث في أماكن تجمع القوارب على النيل ... شمال وجنوب المعادي، وسؤال كل المراكبية عن «هانز» ... ولا تنسَ أن الذين يساعدون «هانز» كانوا جميعًا من المراكبية!

المفتش: لا بأس ... سنبحث في كل مرسًى على شاطئ النيل.

تختخ: هناك رجاء خاص!

المفتش: ما هو؟

تختخ: أريد أن تُوصيَ بي ضابط منطقة حلوان، إن عندي فكرة صغيرة أريد تنفيذها قد تبدو ساذجة ... ولكن سأجربها وحدي!

المفتش: لا مانع عندي من توصية الضابط ... إن اسمه «سيد هندي» وهو شاب ممتاز، سأتصل به تليفونيًّا.

تختخ: أشكرك كثيرًا يا سيدي ... وسوف أذهب إلى مقابلته صباحًا.

ووضع «تختخ» السماعة، ثم تناول العشاء، وجلس يقرأ قليلًا ثم نام ... استيقظ في السادسة صباحًا ... كان يعرف أن المسافة إلى حلوان طويلة، وأراد أن يذهب قبل أن ترتفع الشمس ... وهكذا قضى نحو نصف ساعة في الاغتسال والإفطار ثم لبس ثيابه وأسرع إلى الحديقة ... وقد بدَت على «زنجر» الدهشة وهو يشاهد صاحبه في هذه الساعة المبكرة، وقال «تختخ»: تناولت إفطارك يا «زنجر»؟

هزَّ «زنجر» ذيلَه دليل أنه لم يفطر بعدُ.

واضطر «تختخ» إلى أن يعود إلى المطبخ ويحضر له إفطاره ثم جلس بجواره وأخذ يتحدث إليه ... كان «زنجر» يفهم صاحبه ... فقد ظلَّا صديقَين سنوات طويلة.

بعد أن تناول «زنجر» إفطاره قفزَا معًا إلى الدراجة، وأدار «تختخ» البدال وانطلقت الدراجة في الشوارع الخالية ... وسرعان ما وصلَا إلى الكورنيش ... وزاد «تختخ» من سرعته ... مارًّا بكازينو «الجود شوط» ثم مرًّا بالكنيسة الصغيرة التي تقف على حافة النيل منذ عشرات الأعوام ... ثم مجموعة أشجار الكافور الضخمة ... كان «تختخ» مستمتعًا بهذه الرحلة الصباحية وخاصة أنه سيفقد بعض الشحم الذي يغطي جسمه ... ووصلَا إلى طرة ... ثم طرة الأسمنت ... حيث ترتفع المداخن في مصانع الأسمنت وتملأ الجو بما يُشبه الضباب.

كان هدف «تختخ» شيئًا لا يتوقعه أحد ... مجرد أمل في الحصول على شيء بسيط ولكن قد يؤدي إلى إمساك طرف الخيط في هذه المغامرة ... إن العثور على رجل في القاهرة

مثل العثور على حبة من الرمل في جبل ... وأية محاولة مهما تكن غير مضمونة تستحق الإقدام.

مرت نصف ساعة ... وأشرف أخيرًا على ركن حلوان ... وتذكر «تختخ» مغامرته الليلية هناك والتي كانت بداية العثور على العصابة ... هل يواتيه الحظُّ مرة أخرى ويصل إلى شيء؟

انحرف يسارًا ثم أخذ الطريق المجاور للسور المرتفع ... كانت حلوان الصناعية على يمينه ... مدينة لا تنام ... وعلى يساره كانت حلوان الحمامات حيث المياه الجوفية التي تشفي الأمراض ... وفي هذا الطريق اتجه ... وسرعان ما كان يُشرف على المباني وسأل عن قسم الشرطة فلم يكن قد دخله في حياته ودلَّه الناس عليه ... وعندما وقف بالباب أُعجب كثيرًا بنظافة المبنى ... واستقبله جندي الشرطة فسأله عن الرائد «سيد هندي» فقال: إنه موجود، فقال له «تختخ»: من فضلك أخبره أن «توفيق خليل» يريد أن يراه.

لم يَغِب الجندي أكثر من نصف دقيقة وعاد قائلًا: تفضل ... إن سيادة الرائد في انتظارك.

دخل «تختخ» بعد أن طلب من «زنجر» أن ينتظره خارج الباب بجوار الدراجة ووجد الرائد «هندي» في انتظاره مبتسمًا، وقال: صباح الخير ... قال لي المفتش «سامي» إنك تريد أن تراني!

تختخ: نعم ... لعلك تعلم بالأحداث التي جرت في المعادي، الخاصة بخطف التلميذة «سماء».

الرائد هندي: نعم ... وقد اشتركتُ في الحملة التي طاردت العصابة ليلًا!

تختخ: إنني لم أرَكَ ... كان الظلام كثيفًا، وقد غادرت المكان مع «سماء» لأنها كانت متعبة!

الرائد: على كل حال ... أتمنى أن أتمكن من خدمتك!

تختخ: إنني أريد الاطلاع على المحاضر التي سجلها القسم خلال الأيام الماضية!

الرائد: هل تبحث عن شيء معين؟

تختخ: نعم ... أنت تعرف أن زعيم العصابة «هانز» ... قد ألقى بنفسه في النيل، ولم يُعثر له على أثر على ضفتَي النهر ... فهو إما غَرِق أو أنقذه أحد!

الرائد: معقول جدًّا.

تختخ: إنني أتصور أن مثل هذا المجرم لا يترك أحدًا يراه ولا يعرف أين ذهب.

الرائد: وهذا أيضًا معقول.

تختخ: إذن فإنني أتوقع أن يكون قد حدث شيء له دلالة ... شيء بسيط يكشف عما فعله «هانز».

قال الرائد «هندي» مبتسمًا: إنني لا أستطيع أن أتابعك في هذا الاستنتاج؟ فماذا تقصد بالضبط؟

تختخ: أقصد أنني أريد أن أعثر على حادث وقع في هذه المنطقة التي اختارها «هانز» لنشاطه يكشف عن مكان وجوده.

أخذ الرائد «هندي» يفكر لحظات ثم قال: على كل حال أنت تريد الاطلاع على محاضر الحوادث التي وقعت في دائرة القسم خلال الأيام الماضية.

تختخ: نعم ... منذ تلك الليلة التي هرب فيها «هانز» ملقيًا بنفسه في المياه مستترًا بالظلام.

البحث عن وجدي الطيب

تناول الرائد «سيد هندي» ... دفتر المحاضر الذي تُسجل فيه كلُّ الأحداث والبلاغات التي وقعت في دائرة القسم، وفتحه ثم أخذ يقلب فيه حتى وقف عند صفحة معينة وقال: من هذه الصفحة تبدأ البلاغات والحوادث التي تريدها.

ناول الرائد «هندي» الدفتر إلى «تختخ» الذي تناوله، ثم أخذ يقرأ الحوادث والبلاغات ... كانت تدور حول السرقات التي تمت في المنطقة ... وقضية خطف ... ومجموعة من المشاجرات وسرقة مسكن ... وأخذت أصابع «تختخ» تنتقل من سطر إلى سطر ... وعيناه تتابعان ما جاء في الدفتر.

وقال الرائد «هندي»: هل وجدت شيئًا مما تفكر فيه؟

تختخ: حتى الآن ... لا!

وبقي «تختخ» يقلب الصفحات ثم توقَّف مرة واحدة عند حادث ... وأخذ يقرأ ويعيد القراءة ... كانت حاسة المغامر قد تنبَّهت عندما قرأ هذا الحادث ... وكان في شكل بلاغ من جندي الدورية المعين على الشاطئ الغربي للنيل عند كوبري حلوان الكبير ... وكان البلاغ كالآتي:

> في أثناء مروري على شاطئ النيل، وعند قاعدة الكوبري، لاحظتُ وجود شخص نائم على شاطئ النيل وقد ابتلَّت ملابسه، فاشتبهتُ في أمره، فذهبت إليه ووجدته لا يتحرك، وظننت أنه غريق، ولكن عندما فحصته تبيَّن لي أنه مصاب وفاقد الوعي ... وقد تم استدعاء الإسعاف حيث نُقل المصاب إلى مستشفى حلوان.

قال «تختخ» مشيرًا إلى هذا البلاغ: هل اتصلتم بهذا المصاب؟

أمسك الرائد «سيد هندي» دفتر المحاضر، ثم قرأ البلاغ، وقال: نعم، لقد انتقلت إلى المصاب، ولكنني وجدتُه ما زال غائبًا عن الوعي ولا يمكن استجوابه عن سبب إصابته!

تختخ: ما نوع إصابته؟

الرائد هندي: بسؤال الأطباء المعالجين، اتضح أنه مصاب بضربة من آلة حادة في مؤخرة الرأس ... أدَّت إلى إصابته بارتجاج في المخ، وإصابته خطيرة، ولكن بنيته القوية جعلَته يتحمل الإصابة.

تختخ: هل يمكن زيارة المريض مرة أخرى ... ربما يكون قد أفاق؟

الرائد: سأتصل بالمستشفى تليفونيًّا.

أخذ الرائد «سيد هندي» في الاتصال بالمستشفى، في حين انهمك «تختخ» في قراءة بقية البلاغات، ومرة أخرى لفتَ نظرَه بلاغٌ أخذ يجري على سطوره بسرعة ... كان معنى البلاغ كالآتي:

عثر بعض الصيادين على لنش بخاري صغير كاد يغرق في مياه النيل، وقد وُجد في قاعه ثقبٌ تتسرب منه المياه ... وبفحص الثقب تبيَّن أنه بفعل فاعل ... وقد تم سحب القارب قبل أن يغرق إلى شاطئ النيل.

ربط ذهن «تختخ» بين البلاغَين بسرعة ... وأخذ يتصور ما حدث عندما قفز «هانز» في النيل، لقد سبح مسافة، ثم شاهد اللنش فلجأ إليه وطلب من صاحبه إنقاذه، ولكرم المصريين وشهامتهم قام صاحب القارب بإنقاذ «هانز» الذي عندما ارتاح انتهز فرصة، ثم ضرب صاحب القارب على رأسه ضربة قوية وألقى به في النيل ليغرق ويختفيَ إلى الأبد ... ثم أخذ القارب، واتجه إلى شاطئ النيل، ثم قام بإحداث ثقب في قاع القارب ليغرق كما أغرق صاحبه ... وباختفاء القارب وصاحب القارب يكون قد انتهى إلى الأبد كلُّ أثر لهرب «هانز».

هل كان الاستنتاج صحيحًا؟

كان هذا يتوقف على استجواب المصاب ... والتفت «تختخ» إلى الرائد «هندي» الذي قال: إن المصاب ما زال في حالة سيئة، ولكن يمكنه الإجابة عن بعض الأسئلة.

تختخ: هيَّا بنا، وبالمناسبة هل وجدتم بطاقته؟

رد «الرائد»: لا ... لم نجد معه ورقة واحدة تدل على شخصيته.

تختخ: هذا ما توقعته.

خرجَا معًا ... وترك «تختخ» دراجته في حراسة «زنجر»، ثم قفز إلى سيارة الشرطة مع الرائد «هندي» وانطلقَا إلى المستشفى ...

سارَا في الدهاليز البيضاء الواسعة حتى دخلَا إلى غرفة وجدَا فيها المصاب، كانت عيناه مغمضتَين، ولكن تنفُّسه منتظم، وكان يقف بجواره طبيبٌ شاب ابتسم عندما رأى الرائد «هندي» الذي قال لـ «تختخ»: لقد كان الدكتور «أحمد» زميلي في الدراسة الثانوية.

سلَّم «تختخ» على الطبيب الذي قال: أرجو ألَّا تُجهداه بأسئلتكما!

تختخ: في الأغلب سأروي له قصة صغيرة، وعليه فقط أن يؤيد أو ينفيَ ما في هذه القصة من أحداث.

أمسك الضابط بيد المصاب، وقال: سيحكي لك هذا الصديق حكاية بسيطة … هزَّ رأسك بالموافقة أو الرفض لما يقوله لك!

هزَّ المريض رأسه إعلانًا عن فهمه لما قاله الرائد «هندي»، فقال «تختخ»: هل كنت في قاربك في النيل أمس الأول نحو منتصف الليل؟!

أحنى الرجل رأسه، فمضى «تختخ» يقول: لعلك من هواة صيد السمك ليلًا؟

أحنى الرجلُ رأسَه … فمضى «تختخ»: وفي أثناء إبحارك بالقارب، وجدت شخصًا يسبح في الظلام وحده.

أحنى الرجلُ رأسَه … فأكمل «تختخ»: فتقدمت منه وطلب منك أن تُنقذَه لأنه يوشك على الموت غرقًا.

وافق الرجل بهزة من رأسه، وبدَت الدهشة على وجه الرائد «هندي» والطبيب «أحمد»، ومضى «تختخ» يروي: وركب معك، وتحدث إليك بلغة أجنبية في الأغلب إنجليزية، وقال لك إنه سائح، وإنه كان مع مجموعة من السياح، وإنه سقط في النيل!

وافق الرجل بهزَّة من رأسه وقال الطبيب: كيف عرفت كل هذا؟

قال «تختخ»: إنها مجرد استنتاجات مبنية على وقائع أعرفها.

ثم عاود الحديث إلى المصاب فقال: وفي أثناء انشغالك في إدارة القارب لتوجيهه إلى الشاطئ، ضربك هذا الشخص بشيء ثقيل على رأسك، وفقدت الوعي. تحدث المصاب لأول مرة فقال: إنني مذهول لما أسمع … فإما أنك كنت معه … أو أنك أنت هو شخصيًّا!

تختخ: لا هذا ولا ذاك … عندما تُشفى بإذن الله سأريك كل شيء!

تحدث الرائد «الهندي» فقال: لقد جردك هذا الشخص من كل أوراقك … فمَن أنت؟

المصاب: اسمي «وجدي الطيب».

الرائد: هل ما رواه الأخ «توفيق» صحيح؟

ردَّ «المصاب»: نعم … كل ما رواه صحيح!

التفت الطبيب والرائد إلى «تختخ» وقال الرائد «هندي»: ... إنك ولد مدهش ولا بد عندما تكبر أن تعمل في الشرطة!

تختخ: هذا ما سيحدث بإذن الله.

وسلم «تختخ» والرائد «هندي» على المصاب «وجدي الطيب» وانصرفَا بعد أن شكر الطبيب.

وفي الطريق قال الرائد «سيد هندي»: كيف تسنَّى لك أن تعرف كل هذه المعلومات عن وقائع لم تحضرها؟

رد «تختخ»: ببعض الاستنتاجات استطعت أن أربط بين اختفاء «هانز» في تلك الليلة وعدم العثور عليه على ضفتَي النيل ... الحل الوحيد أن يكون هناك مَن انتشله من النيل، وبالطبع فإن «هانز» بطبيعته الإجرامية لن يترك مَن ينقذه حيًّا حتى لا يشيَ به ... وهكذا تصورت أنه سيضرب مَن ينقذه، ثم يهرب بالقارب، ثم يتخلص من القارب بإغراقه، وهكذا يتلاشى أثره ولا يمكن متابعته، وتصورت أنه من الممكن أن نعثر على القارب أو الرجل المضروب ميتًا أو حيًّا.

الرائد «هندي»: إنها مجموعة مترابطة من الاستنتاجات!

توفيق: المهم الآن ما رأيك؟

الرائد «هندي»: هل يتحدث «هانز» باللغة العربية؟

توفيق: نعم ... كأحد أبنائها!

هندي: في هذه الحالة سيستخدم البطاقة الشخصية الخاصة ب «وجدي الطيب» ومن السهل عليه نزع الصورة ووضع صورته مكانها.

تختخ: هذا صحيح.

هندي: وهو بالطبع سيحتاج إلى تأجير شقة، أو النزول في أحد الفنادق تحت اسم «وجدي الطيب» ... ومن ناحيتي سأقوم بالبحث ومعي رجالي في منطقة «حلوان».

تختخ: هذا عظيم ... وسوف أبلغ الشاويش «علي» للبحث في منطقة المعادي.

هندي: سأُبلغ المفتش «سامي» بكل ما جرى ... وهو أقدر الناس على العثور على هذا المجرم الخطير.

وصلَا إلى القسم ... وتبادلَا تحية سريعة، وتواعدَا على اللقاء بعد ذلك ... ثم قفز «تختخ» إلى دراجته، وانطلق وخلفه «زنجر» في سلَّته ... كان الحر، قد اشتد ولكن «تختخ» كان سعيدًا ... لقد استطاع ببعض الاستنتاجات أن يضع نفسه خلف «هانز» مرة أخرى ...

ولم يكن هذا مستطاعًا لولا هذه الخواطر العجيبة التي تهبط على ذهنه دون أن يدريَ من أين تأتي.

ظل سائرًا على شاطئ النيل، يفكر في كل ما حدث ... حتى إذا اقترب من «كازينو الجود شوط» كان قد أحس بعطش شديد فقرر أن يجلس ليشرب كوبًا من عصير البرتقال الذي يحبه.

أسند الدراجة إلى الجدار ... ثم دخل وخلفه «زنجر» وجلس إلى جانب الشاطئ مباشرة، وعندما جاء الجرسون طلب العصير ... ثم جلس يحدق في الفضاء ... كان ذهنه يعمل بطريقة هادئة وهو يتصور الأحداث القادمة ... وكيف ينتهي صراع الذكاء بينه وبين «هانز» ... وفجأة سمع صوتًا خلفه ... صوتًا لا يمكن أن تُخطئه أُذُناه ... والتفت، وشاهد شخصين يغادران «الجود شوط» ... وقفز من مكانه كالملسوع ... وأسرع يجري، ولم يرَ في طريقه الجرسون وهو يحمل العصير، فارتطم به، وسقطت الصينية بما عليها.

ووقف الجرسون مذهولًا ... وكان «تختخ» يجري بأسرع ما يستطيع فقد كانت أمامه فرصة لم يسبق أن لاحت له.

زنجر ... كالعادة

كان متأكدًا أن الصوت الذي سمعه هو صوت «هانز» فقد كان يتحدث باللغة العربية، ولكنَّ هذا الصوت الأجش ذا النغمة العالية لا يمكن نسيانه ... وكان الشخصان قد غادرَا الكازينو، ووقفَا يتحدثان عند المدخل الرئيسي، ووقف «تختخ» خلف سور الأعشاب العالي يرقبهما ... كان «هانز» قد غيَّر من ملامحه كثيرًا ... فقد صبغ شعره الأشقر بالأسود وأطلق شاربه وصبغه أيضًا ولبس نظارة سوداء ... والذي يراه لا يشك لحظة أنه عربي أو مصري عريق ...

وتذكَّر «تختخ» الرجل المصاب «وجدي الطيب» وتأكَّد أن «هانز» قد اقتبس شخصيته.

ركب الرجلان سيارة خضراء من طراز «شيفروليه كابري» الضخمة، وحرص «تختخ» على أن يلتقط الرقم ٥٧٤٩ القاهرة.

لم يكن في إمكانه في هذه اللحظة أن يفعل شيئًا ... فلو حاول بمساعدة الناس القبض على «هانز»، واستطاع «هانز» وهو بالقطع مسلح، من الهرب ... لما عثر عليه مرة أخرى.

أسرع يقفز إلى دراجته، وتذكَّر ما فعله بالجرسون، وفكَّر أن يعود ... ولكنه فضَّل أن يذهب الآن إلى المنزل ليتحدث إلى المفتش «سامي» تليفونيًّا ... وانطلق في الجو الحار عبر شوارع المعادي الخالية حتى وصل إلى المنزل ... وقبل أن يشرب حتى كوبًا من الماء اندفع إلى التليفون وطلب المفتش «سامي» ورد عليه المفتش على الفور فقال:

تختخ: لقد رأيت «هانز» الآن!

لم يردَّ المفتش على الفور، كان واضحًا أنه مندهش، فمضى «تختخ» يقول: لقد غيَّر شكله تمامًا ... ولم تَعُد الصورة التي عندنا لها أية قيمة ... لقد صبغ شعره باللون الأسود وأطلق شاربه وصبغَه أيضًا ... ووضع على عينَيه نظارة سوداء ليُخفيَ لون عينَيه!

قال «المفتش»: أين رأيته؟

رد «تختخ» رأيته منذ عشر دقائق فقط عند «الجود شوط» ولم يكن في إمكاني أن أفعل شيئًا، فقد فكرت أن أهاجمه وأستنجد بالناس ... ولكني خشيت أن يقتل أحدًا فإنه مسلح وهو شديد الشراسة ... كما أني إذا لم أنجح في القبض عليه فسوف تفلت فرصة العثور عليه مرة أخرى.

المفتش: وماذا حدث بعد أن رأيته؟

تختخ: خرج مع رجل آخر وركبَا سيارة خضراء من طراز «شيفروليه كابري» رقمها ٥٧٤٩ القاهرة.

المفتش: هذه معلومات على أكبر قدر من الأهمية.

تختخ: أريد أن أُضيف شيئًا آخر ... هو أن وجود «هانز» في «الجود شوط» معناه أنه ما زال يعمل في هذه المنطقة.

المفتش: هذا صحيح!

تختخ: لقد قابلت الرائد «سيد هندي» وهو ضابط مهذب، ومتعاون تمامًا!

المفتش: لقد حدثني تليفونيًّا عنك، وهو معجب بك جدًّا. وقد روَى لي مجموعة الاستنتاجات التي قدمتها ... وهي بلا شك تستحق التقدير ...

تختخ: شكرًا لك ... أنت الذي علمتني!

المفتش: هناك شيء هام ... أريدك أنت والزملاء أن تقوموا بالبحث عن السيارة في الأماكن التي اعتدتم التجول فيها ... إن في إمكانكم مساعدتنا.

تختخ: لقد فكرت في هذا ... وسوف أتصل بالمغامرين فورًا!

المفتش: خذوا حذركم ... لا أريدكم أن تهاجموا هذا المجرم أبدًا ... إنه رجل في غاية الخطورة.

وضع «تختخ» السماعة وأحس أن لسانه كاد يلتصق بحلق فمه من فرط العطش. ونزل مسرعًا إلى المطبخ. كانت الخادمة «حسنية» تُعدُّ طعام الغداء وسأل «تختخ» عن نوع الطعام فقالت: بامية وفراخ!

قال «تختخ» وهو يفتح الثلاجة: بامية في هذا الحر ... إنك تريدين قتلي!

ثم أخرج قطعة كبيرة من البطيخ المثلج وأخذ يلتهمها، ثم تردد قليلًا وقام فأخرج علبة الجبن، وأحضر رغيفًا وجلس يتغدَّى ... وفجأة تذكَّر «زنجر» فعندما ركب دراجته من أمام «كازينو الجود شوط» لم يكن في سلَّته خلف الدراجة كما هي عادته ... وأكمل طعامه على عجل ثم خرج إلى الحديقة، ولكن «زنجر» لم يكن موجودًا.

وقف «تختخ» حائرًا: أين ذهب ذلك الكلب المغامر؟

كانت الحرارة شديدة، فدخل مرة أخرى إلى الفيلا ثم صعد إلى غرفته فاغتسل ولبس جلبابه الواسع ... واستلقى على فراشه يفكر، لم يكن الموعد مناسبًا للاتصال بالمغامرين ... فهو موعد الغداء ... والجو حار ... وقرر أن يستسلم للنوم فترة ... ثم يتصل بالمغامرين ويبدأ البحث عن السيارة الخضراء.

استسلم للنوم سريعًا؛ فقد كان متعبًا بعد رحلة حلوان الساخنة ... وعندما استيقظ ونظر إلى ساعته وجدها قد تجاوزت الخامسة بعد الظهر ... وعرف أنه نام طويلًا فتمطَّى وقام وطلب من «حسنية» أن تُعدَّ له كوبًا من الشاي، ثم فتح نافذة غرفته ونظر إلى حيث اعتاد «زنجر» أن ينام، في مثل هذه الساعة في ظل الشجرة الكبيرة في الحديقة ... ولكن «زنجر» لم يكن قد عاد.

أحس «تختخ» بقلق خفي ... لم يكن هناك سبب لغياب «زنجر» وأسرع يتصل «بعاطف» وسأله ألم يأتِ «زنجر» إليكم؟

عاطف: لا ...

تختخ: على كل حال ... أريد أن أعقد اجتماعًا هامًّا هذا المساء!

عاطف: هل هناك شيء جديد؟

تختخ: ليس شيئًا واحدًا. ولكن أشياء كثيرة.

عاطف: سأتصل بـ «نوسة» و«محب» ... وسنراك في الموعد!

أسرع «تختخ» إلى ملابسه ... ثم قفز السلالم نازلًا حتى وصل إلى الحديقة ... وقبل أن يقفز إلى دراجته أخذ يبحث عن «زنجر» ... ولكن عبثًا ... كان الكلب الأسود قد اختفى تمامًا ... وركن «تختخ» دراجته، وانطلق في طريقه إلى منزل «عاطف» وهو يفكر في كل ما حدث ويتخيل ما جرى لـ «زنجر» ... ولكن لم يصل إلى شيء ...

كان المغامرون الأربعة في انتظاره ... وكانت أول مَن لاحظ غياب «تختخ» هي «لوزة» التي قالت: لماذا لم يأتِ «زنجر»؟

تختخ: لا أدري ... لقد سألتُ عليه «عاطف» وهو مختفٍ منذ أكثر من ثلاث ساعات!

جلس المغامرون الخمسة ... وبسرعة لخص لهم «تختخ» الأحداث التي مرت والاستنتاجات التي وصل إليها ... ومقابلته مع الرائد «سيد هندي» ثم انتهى من حديثه قائلًا: وقد طلب مني المفتش «سامي» أن ننتشر للبحث عن السيارة رقم ٥٧٤٩ القاهرة!

محب: لن تكون المهمة شاقة بالنسبة للمعادي إذا كانت السيارة فيها فنحن نعرف كل الجراجات هنا ... وسنسأل فيها.

تختخ: ربما لا تكون موجودة في جراج «عام» ربما تكون في جراج خاص في فيلا.

محب: في البداية سوف نسأل في الجراجات العامة ... ثم بعد ذلك ستكون مهمتنا شاقة فالبحث في جراجات الفيلات ليس مسألة سهلة!

تختخ: لاحظوا أن الشرطة تبحث أيضًا!

قالت «لوزة» بحماستها المعهودة: لا بد أن نسبقهم!

ثم خفضت من صوتها وهي تقول: ولعلنا نجد «زنجر» أيضًا في أثناء بحثنا عن هذه السيارة!

تحدثت «نوسة» لأول مرة فقالت: أعتقد أن هناك علاقة بين اختفاء «زنجر» وبين هذه السيارة.

التفت إليها المغامرون الخمسة فقالت: هيا بنا ... إن لكل دقيقة قيمتها!

وبسرعة اتفقوا على تقسيم المعادي إلى مناطق على أن ينتشروا للبحث فإذا لم يجدوا شيئًا يتقابلون في العاشرة ... وإذا وجدوا شيئًا فعليهم أن يتصل بعضهم ببعض عن طريق التليفون على أن يكونوا جميعًا في منازلهم قبل الساعة العاشرة ليلًا.

بدأت الدراجات الخمسة تتحرك في اتجاهات مختلفة ... وبدأ كلٌّ منهم أسئلتَه في الجراجات التي يعرفها ... وكان من نصيب «عاطف» المنطقة الشرقية بجوار «الإستاد».

كان الظلام قد هبط وبدأت أنوار المصابيح تظهر ... وبدأ «عاطف» بجراج ضخم على حافة الصحراء ... كانت عشرات السيارات تتناثر أمامه وداخله ... واختار «عاطف» ولدًا صغيرًا كان يغسل السيارات وابتسم له فابتسم الولد أيضًا ... ولاحظ أن «عاطف» ينظر إلى السيارات الواحدة بعد الأخرى فقال له: يبدو أنك تحب السيارات!

رد «عاطف»: نعم إني أحب أن أعرف كل شيء عن السيارات.

قال الولد: إنني أستطيع أن أعرف طراز أي سيارة من نظرة واحدة ... حتى لو رأيت فقط طرف الرفرف.

عاطف: إنك ولد ذكي ... فما هو نوع السيارة التي تُفضلها؟

فكر الولد قليلًا ثم قال: الفولكس فاجن!

عاطف: إنني أفضل الشيفروليه!

الولد: إنها سيارة كبيرة ... وتتكلف كثيرًا!

عاطف: أليست عندكم هنا سيارات شيفروليه؟

الولد: هناك أربع منها!

عاطف: عظيم ... هل فيها واحدة ماركة «شيفروليه كابري»؟

الولد: لا ... للأسف هناك أنواع أخرى!

أحس «عاطف» بالضيق ... ولكن الولد أضاف فجأة: ولكني أشاهد في هذه الناحية سيارة من هذه الماركة ... إنها تمر دائمًا من هنا!

عاد الأمل إلى نفس «عاطف» وقال: وما هو لونها؟

رد «الولد»: إن لونها أخضر ...

وزادت ضربات قلب «عاطف» وفكر: هل تكون هي سيارة «هانز»؟ وابتسم للولد ابتسامة واسعة وهو يسأله: هل تعرف رقمها؟

الولد: لا ...

عاطف: إلى أين تتجه؟

أشار الولد بيده ناحية حافة الصحراء وقال: إنها عادة تأتي وتمر من هنا وتذهب إلى خلف هذه المجموعة من المساكن.

شكر «عاطف» الولد ... وانطلق في الاتجاه الذي حدده وقلبه يحدثه أنه قريب جدًّا من «هانز» ولكن أين؟

وجاء الرد بعد قليل ... ومن حيث لا يتوقع.

سجين البرميل

كان الشارع الذي أشار إليه الولد يشبه الغابة الصغيرة فقد نمت على جانبَيه مجموعة كبيرة من الأشجار العالية ... نبتَت بينها الأعشاب الكثيفة ... وكانت أعمدة النور مختفية خلف الأشجار ... خافتة الضوء ... وقد ألقَت بظلال الأشجار على الأرض كأنها أشباح خرافية قد نامت على أرض الشارع ...

أحس «عاطف» بشيء من الرهبة ... ودُهش لوجود مثل هذا الشارع في المعادي دون أن يعرفه ... واختار مكانًا كثيف الأعشاب وضع دراجته خلفه ... ثم مشى على قدمَيه، كان قلبه يُحدِّثه أنه سيعثر على شيء هام ... وقد عثر عليه سريعًا ... فقد سمع في الصمت الذي يشمل الشارع صوتًا جعل قلبه يكاد يتوقف بين جنبَيه ... سمع صوت نباح خافت ... لم يشكَّ لحظة أنه نباح «زنجر» ...

توقَّف «عاطف» يستمع في انتباه ليحدد مصدر النباح ... وخُيِّل إليه أنه يأتي من مكان ما خلفه ... وأخذ يسير بين الأشجار والأعشاب الكثيفة ... متوقفًا بين لحظة وأخرى يتسمَّع حتى اقترب من مصدر الصوت ... ووجد نفسه أمام ممر طويل من الأحجار الضخمة ... سار فيه محاذرًا حتى وصل إلى نهايته والصوت يزداد اقترابًا ... حتى انحرف يسارًا وفوجئ بجدار من الخشب القديم وقف أمامه ... ثم وضع أُذُنَه عليه ... وسمع صوت «زنجر» الحزين ... كان واضحًا أن «زنجر» مريض أو مصاب ... فقد كان صوته غير منتظم ... ونباحه يرتفع وينخفض كأنه يستغيث ...

سار «عاطف» بجوار السور الخشبي ... وقد غاصت قدماه في الأتربة والأعشاب التي كانت أطرافها المدببة تجرح ساقَيه وتؤلمه ... ولكن انتباهه كله كان موجهًا إلى صوت «زنجر» وأخيرًا وجد فتحة بين لوحَين من الخشب توقَّف عندها وأخذ ينظر خلف الجدار

... كان الظلام كثيفًا في الداخل ... ولكن كان ثمة شعاع من الضوء يأتي من مصدر بعيد ... وبعد لحظات أخذت عينَا «عاطف» تألفان الظلام ... وعلى الضوء الخفيف استطاع أن يتبين محتويات المكان ... كان مخزنًا قد امتلأ بالبراميل القديمة وإطارات السيارات والصفائح الفارغة ... ولم يُعثر لـ «زنجر» على أثر ... واستنتج على الفور أنه في الأغلب مختفٍ خلف شيء من هذه الأشياء ... وكانت المشكلة كيف يصل إليه ...

كانت الفتحة التي ينظر منها عَرْضها نحو عشرين سنتيمترًا ... وكانت كافية إذا كان «زنجر» حرًّا أن يخرج منها ... ومعنى ذلك أنه مقيد ... وأخذ «عاطف» يحاول المرور من الفتحة ... واستطاع أن يدخل بجسده ... وبقي رأسه خارجًا ... وتصور في هذه اللحظة أن يظهر «هانز» أو أحد رجاله ... ومن المؤكد أنهم سيُمسكونه كما يمسكون فأرًا في مصيدة ... واستجمع قوته ... وأبعد لوحَي الخشب أحدهما عن الآخر ثم دخل إلى المخزن المظلم ... وأخذ يقترب من مصدر صوت «زنجر» الذي كان قد ضعف كثيرًا حتى لم يَعُد يسمع ... ونادى «عاطف» بصوت خفيض: زنجر ... زنجر ...

ويسمع نباح الكلب العزيز ... كان نباحًا خافتًا كأنه يأتي من بئر عميقة ... واقترب «عاطف» أكثر وهمس: زنجر ... زنجر ...

ونبح الكلب نباحًا حزينًا خافتًا ... وعرف «عاطف» مصدر الصوت ... كان في أحد البراميل الفارغة ... واقترب منه ... وأخرج بطاريته الرفيعة التي يحتفظ كلٌّ واحد من المغامرين الخمسة بواحدة منها ... وأطلق خيطًا رفيعًا من الضوء داخل البرميل، وسقط شعاع الضوء على جسد «زنجر» الأسود ... ولكنه لم يَعُد أسود لامعًا كما كان دائمًا ... كان الغبار والتراب والقاذورات تغطِّيه ... وكانت عيناه قد فقدتَا لمعانَهما الجميل ... وأحس «عاطف» أن قلبه يعتصر ... وأنه غاضب جدًّا وحزين ومدَّ يديه يحمل الكلب العزيز ... كان واضحًا أنه مصاب بإصابات بالغة بآلة حادة ... في مكان ما من جسده ... فقد كان شعره ملبدًا بالدماء الجافة ... وقال «عاطف» وصوته مختنق بالبكاء: «زنجر» ... ماذا جرى لك؟

وأخذ الكلب يلعق يدَي «عاطف» ... كان لسانه جافًّا؛ فقد كان شديد العطش، وغلا الدم في عروق «عاطف» من شدة الغضب ومن وحشية هؤلاء ... كيف يعاملون «زنجر» بهذه القسوة وهو حيوان أعجم؟!

حمله بين ذراعَيه وأخرجه من البرميل ... كان بالإضافة إلى إصاباته مربوطَ اليدين والقدمين ... ووضع «عاطف» بطاريته الصغيرة على الأرض ... وعلى ضوئها الخفيف أخذ

يفك وثاق «زنجر» ... ثم حمله بين ذراعَيه ووقف ... وفجأة سمع صوت أقدام تقترب ... وفتح باب المخزن فأصدر صريرًا عاليًا ... ثم سمع صوت مفتاح النور ... فزاد اضطرابه ولكن النور لم يُضِئ ... وسمع صوت رجل يقول ساخطًا: ألم آمرك بأن تُصلح هذا النور!

رد الآخر: لقد نسيت يا سيدي!

الأول: إنك دائمًا تنسى كل شيء ... اذهب وأحضر لنا شمعة أو أي شيء ...

قال الآخر: إنني أستطيع إخراج الأشياء التي تطلبها يا سيدي ...

الأول: أية أشياء أيها الغبي ... إنني أريد النزول ...

الآخر: سآتيك يا سيدي بشمعة على الفور ...

وسَمِع صوتَ أقدام تبتعد ... وصوتَ تنهُّدٍ عميقًا ... وأدرك أن فرصته السانحة لن تكرر ... فعدم إضاءة النور كان ضربةَ حظٍّ موفقة ... ربما لا تتكرر ... كان عليه أن يتحرك ... ولكنه في الوقت نفسه يخشى أن يراه الرجل أو يحس به. وخاصة أن بطاريته على الأرض وما زال الضوء الرفيع ينبعث منها داخل البرميل بعيدًا عن الرجل ببضعة أمتار ... انحنى «عاطف» على «زنجر» وقال له: هل تستطيع الحركة يا «زنجر»! ودون أن ينتظر إجابته وضعه على الأرض ... وعلى الفور فَهِم «زنجر» المطلوب منه ... ومشَى ... وبعد لحظات كان قد اختفى بلونه الأسود في الظلام ...

وقف «عاطف» يفكر ثم قرر أن يتحرك ... انحنى ليلتقط بطاريته ولسوء حظه حدث ما كان يخشاه ... فقد ارتطم رأسُه بحافة البرميل الخشبي وأحدث صوتًا عاليًا ... وسمع صوت الرجل يقول: مَن هناك؟

وفي الوقت نفسه أحسَّ برأسه يدور وبأنه سيسقط على الأرض ... ولكنه تمالك نفسه وجلس على الأرض ... وتناول بطاريته ...

كان الرجل الواقف بالباب ما زال يصيح: مَن هناك؟

ولم يردَّ «عاطف» بالطبع ... وفي هذه اللحظة سمع صوت أقدام الرجل الآخر.

ثم قال الأول: سمعت خبطة في اتجاه البراميل ...

الثاني: لعل ذلك الكلب اللعين ما زال حيًّا ...

الأول: ألم آمرك أن تأخذَه وتُلقيَه في الجبل ...

الثاني: تركته ليموت أولًا يا سيدي ... ثم انتظرت هبوط الظلام ... فقد يراه أحد معي ...

الأول: إنني ما زلت مندهشًا كيف دخل السيارة ...

الثاني: لا بد أننا نسينا إغلاق الباب الخلفي جيدًا ... ومن الواضح أنه كلب ذكي ... فقد رآنا اثنين فقط ... فأدرك أننا سنركب في المقعد الأمامي ... فاختفى في الجزء الخلفي للسيارة ...

الأول: على كل حال ... لا تنسَ أن تذهبَ وتُلقيَه بعيدًا ... فنحن لا ندري مَن هم أصحابه ... ولعله ذلك الولد السمين الذي اقتحم اليخت ليُنقذ الفتاة التي خطفناها ...

كان «عاطف» يستمع برغم إحساسه بالدوخة ... وقد كانت المعلومات التي يسمعها على جانب كبير من الأهمية ... وخاصة رغبة الرجل الأول في النزول ... ماذا يعني بالنزول؟ لا شيء إلا أن يكون تحت أرض المخزن ... فما الذي تحت الأرض ...

قال الأول: تعالَ نحرك البراميل ...

وسمع «عاطف» صوتَ أقدامهما تقترب منه ... ولم يكن أمامه إلا أن يدخل في البرميل الذي كان به «زنجر» ... ثم تكوَّم في قاعه ... وجلس ينتظر ... ورأى ضوء البطارية يطوف بحافة البرميل ... وأدرك أن نظرة واحدة من أحد الرجلين إلى داخل البرميل ستكون كافيةً للقضاء عليه ... ألم يحاول «هانز» قتلَ الرجل الذي أنقذه من الغرق ... ألم يحاول قتلَ «زنجر»؟ ... إنه قاتل شرير لا يرحم ... وانتظر «عاطف» اللحظات التالية فما سيحدث فيها سيحدد مصيره ... وسمع صوت البراميل ترتطم بعضها ببعض ... ثم وجد برميلًا يسد فوهة البرميل الذي اختفى بداخله ... كان هذا إنقاذًا مؤقتًا له ... ولكن ماذا بعد ذلك؟!

سمع الأول يقول: أين البرميل الذي وضعت فيه الكلب؟

رد الأخر: لا أدري ... لعله هذا البرميل الذي سددنا فوهته ...

الأول: لا تنسَ أن تذهب بهذا الكلب بعيدًا ... وتتأكد من موته ... إننا يجب ألَّا نتركَ شيئًا للمصادفة ... ومثل هذه الكلاب قد تكون من الذكاء بحيث تكشفنا ...

الثاني: تأكد أنني سأفعل ذلك الآن يا سيدي بعد أن تنزل!

أخذت البراميل تتحرك ... وأدرك «عاطف» أن الفتحة التي سينزل منها الرجل مخفاة تحت البراميل ... وبعد دقائق ... توقفت حركة البراميل وسمع صوت باب يفتح ثم يغلق بعد لحظات ...

مضَت ثوانٍ قليلة بعد نزول الرجل ... وبدأ الآخر يحرِّك البراميل مرة أخرى، وأدرك «عاطف» أنه سيبحث عن «زنجر» الآن ... وأنه سيواجهه بعد لحظات ...

انكمش في قاع البرميل ... وجعل ظهره إلى القاع ... وقدمَيه إلى الأمام ... وأدار الرجل البرميل يمينًا ... وانحنى لينظر فيه ... وكانت اللحظة المناسبة ... ضربه «عاطف» بكل ما يملك من قوة بقدمه في وجهه ... وصرخ الرجل وهو يسقط على ظهره متألمًا ...

واندفع «عاطف» خارجًا من البرميل زحفًا ... كان يريد أن يكسب الوقت قبل أن يستردَّ الرجلُ حركتَه ... ولكن الرجل كان أذكى مما توقع «عاطف» ... فقد دفع قدمَه بين قدمَي «عاطف»، فاختلَّ توازنه وسقط على الأرض ... وكان ضوء المصباح الذي سقط من الرجل يضيء جزءًا من المكان ... فمدَّ «عاطف» يدَه وأمسك به ووجهه إلى وجه الرجل الذي كان مندفعًا إليه ... وأعشى الضوءُ بصرَ الرجل لحظات كانت كافية ليجريَ «عاطف» ناحية الباب ... واندفع خلفه الرجل ... وعندما اقترب منه ... دفع «عاطف» أحد البراميل بقدمه فارتطم بقدمَي الرجل فسقط ... ثم أخرج مسدسًا ... وألقى «عاطف» بنفسه على الأرض وانطلقت رصاصة ...

اللعب بالديناميت

أحدثَت الرصاصةُ دويًّا كبيرًا في المخزن ولكنها مرت بجوار رأس «عاطف» دون أن تُصيبَه ... وكان المصباح ما زال مضاءً في يده فأطفأه ... وأخذ يزحف في اتجاه الباب وسَمِع صوتَ أقدام مقبلة ... وأدرك أنه وقع في فخ ... فعاد إلى داخل المخزن ... وأسرع إلى أحد البراميل واختفى داخله ...

سمع الرجلين يتحدثان ... كان القادم يصيح: ماذا جرى يا «هاتش»؟

رد «هاتش»: هناك شخص هنا ...

الأول: وأين «هانز»؟

هاتش: إنه تحت ...

الأول: سأذهب لإحضار بعض الأدوات لإصلاح النور ... قف عند الباب فلا بد أنه ما زال موجودًا ...

هاتش: من المؤكد أنه ما زال هنا ...

الأول: إذن خذ حذرك ... وسوف أعود فورًا ...

كان «عاطف» يُنصت إلى الحوار وذهنه يعمل بسرعة خارقة ... كان عليه أن يتصرف الآن أو ينتهيَ كلُّ شيء ... ولكن ماذا يفعل؟

قضى لحظاتٍ يفكر ثم قرر الخروج من البرميل ... تحرك زحفًا على يدَيه وقدمَيه، وفجأةً وجد شيئًا يتحرك مندفعًا بين قدمَيه ... ولم يستطع تمالك نفسه ... فسقط على جنبه ومرق فأرٌ ضخم هاربًا ... وتحرك البرميل وانطلقت رصاصة أخرى اخترقَت جدار البرميل ولكن لحسن الحظ مضت بعيدًا ... وسمع «عاطف» صوت «هاتش» وهو يقول: لا تحاول الهرب ... سوف أضربك بالرصاص!

لم يستسلم «عاطف» أمام هذا التهديد ... وقرر أن يدحرج البرميل في اتجاه الفتحة التي دخل منها ... وخرج بهدوء ... وتسلل خلف البرميل ثم أخذ يُديره بسرعة منتهزًا فرصة الظلام قبل أن يَصِل الرجل الآخر، وانطلقت ثلاث رصاصات أصابت البرميل كله ... ولكن لم تُصِب «عاطف» الذي أدرك أن المسدس لم تبقَ به سوى رصاصة واحدة ... دفع البرميل دفعة قوية في اتجاه «هاتش» الذي أطلق رصاصته الأخيرة ... واندفع «عاطف» ناحية جدار المخزن وهو يُطلق شعاع البطارية ... وعثر على الفتحة التي مر منها ... واندفع إليها ودخل بجانب جسده وأخذ يجتهد للمرور ... وفي هذه اللحظة كان «هاتش» قد وصل إليه وأمسك بذراعه ولواها بكل عنف حتى أحس «عاطف» أن عظامه تتكسر وقال «هاتش»: سأكسرها إذا لم تدخل ...

ولم يكن أمام «عاطف» ما يفعله ... فقد كان «هاتش» قويًّا كالثور ... ولو ضغط زيادة لكسر ذراعه فعلًا ...

وصل الرجل الآخر ... وقال «هاتش»: لقد وقع في يدي يا «جاك»!

جاك: اذهب به إلى المكتب ... سوف أُخطر «هانز»!

مشى «عاطف» وما زال «هاتش» ممسكًا بذراعه ... ومرَّا في دهليز أُضيء بنور ضعيف حتى وصلَا إلى باب يخرج منه نور قوي ... دفع «هاتش» ب «عاطف» إلى الداخل ثم ألقاه على أحد الكراسي ... وأطلق ذراعه ... كان «عاطف» يحس بآلام لا تُطاق في كتفه وكوعه ... وخُيِّل إليه أن ذراعه قد أُصيبت بالشلل فأخذ يحركها يمينًا ويسارًا ...

كان «هاتش» يملأ مسدسه ... وجلس على كرسي في مقابل «عاطف» وقال:

ما هي الحكاية بالضبط أيها الصبي؟ لقد قال لي «هانز» إن ولدًا سمينًا هو الذي اقتحم عليه اليخت وأنقذ الفتاة ... ما هي حكايتكم؟

لم يردَّ «عاطف»، فمضى «هاتش» يقول: إننا سوف ...

ولكنه لم يُكمل جملته ... فقد سمعَا في أول الدهليز صوتَ أقدام ... وعرفَا أن «هانز» و«جاك» قادمان ...

دخل «هانز» محتقنَ الوجه وعيناه تقدحان شررًا، وقال: ماذا جرى؟ هل نحن مطاردون من عصابة أولاد؟

ثم التفت إلى «عاطف»، وقال: تحدَّث بسرعة ... مَن أنتم؟ وماذا تعرفون عنا؟

عاطف: حتى لا أُضيعَ وقتك فأنت لن تحصل مني على إجابة من أي نوع ...

قفز «هانز» في اتجاه «عاطف» كالمجنون ورفع يده ليضربه ... ولكن «جاك» الأعرج أسرع إليه وأمسك بذراعه قائلًا: لحظة واحدة يا «هانز» سوف أجعله يتكلم.

كان «جاك» أكبر الرجال الثلاثة سنًّا ... وأكثرهم تمالكًا لأعصابه ... التفت «جاك» إلى «عاطف» وقال: اسمع يا بني ... إن حياتنا نحن الثلاثة معلقة بكلمة تخرج من فمك ولسنا على استعداد لخسارة حياتنا ...

لم يردَّ «عاطف» ... كان حديثُ الرجل معقولًا جدًّا ... ولكن لم يكن من الممكن أن يكشف «عاطف» عن حقيقة المغامرين الخمسة ... وما يعرفونه عن «هانز» ... فقال: أُكرِّر أسفي ... ولكني لن أتحدث!

هاج «هانز» مرة أخرى ولكن «جاك» قال: اذهب أنت إلى أسفل ... إن موعد الرسالة قد أزف!

وخرج «هانز» وهو يرمق «عاطف» بنظرات قاتلة ... على حين كان «عاطف» يفكر في الرسالة التي أشار إليها «جاك» ... وكان متأكدًا أنها رسالة لاسلكية ... ويعني أنه الآن في وكر للتجسس ...

اقترب «جاك» من «عاطف» وقال: والآن تحدث يا بني!

كان الموقف حرجًا ... فقد كان موقف «جاك» موقفًا طيبًا، ولكنه في النهاية رجل من رجال العصابات يعمل ضد مصر ... ولا يمكن التعاون معه ... حتى ولو كان الثمن هو الحياة ... لهذا قال «عاطف» بصلابة: إنني لن أتحدث مطلقًا ...

بدَا على «جاك» الارتباك فقد تحمل مسئولية دفع «عاطف» إلى الكلام ... ولكنه لم يتكلم ... ولم يَعُد أمامه إلا أن ينتظر عودة «هانز» أو إجبار «عاطف» على الحديث ... وفي هذه اللحظة سمعوا وَقْعَ أقدام مسرعة ... ثم دخل «هانز» شاحب الوجه لاهث الأنفاس وقال: هيا بنا ... لقد أتتنا تعليمات أن نغادر «مصر» فورًا ...

هاتش: ولكن هناك أشياء لا بد من إعدامها قبل أن نغادر المكان!

هانز: لا وقت عندنا، ضع بعض الديناميت لنسف المكان كله!

جاك: وهذا الولد؟

نظر «هانز» إلى «عاطف» ثم قال: اربطوه هنا ... وسوف يتكفل الديناميت بالقضاء عليه ...

أسرع «هاتش» يُحضر حبلًا ... وأخذ يربط «عاطف» وأسرع «جاك» يفتح خزانة في الجدار ويخرج منها كمية كبيرة من أصابع الديناميت ومجموعة من الأسلاك وأخذ يعمل بسرعة ومهارة في وضع الديناميت ومد الأسلاك ... ثم خرج من الغرفة ليضع الديناميت في أماكن متفرقة من الفيلا ... وفي هذا الوقت كان «هانز» يُعدُّ حقيبته التي وضع فيها

مجموعة من الأوراق، ثم أخرج من حقيبة صغيرة جدًّا شيئًا جعل قلب «عاطف» يدق بسرعة عندما رآه، كان هذا الشيء هو السهم الفضي الذي رأته «سماء» ذات ليلة في السينما عندما اضطرت العصابة إلى خطفها …

وأخذ «عاطف» يَرمُق السهمَ الفضيَّ باهتمام شديد … وكم كانت دهشتُه عندما وجَد «هانز» يُدير السهمَ فينقسم إلى نصفين … وإذا به من الداخل محشوٌّ بالأسلاك الرفيعة وخلايا الترانزستور الصغيرة … وأخرج «هانز» مفكًّا رفيعًا أخذ يُديره في مكان ما من السهم الفضي ثم أعاد ربْطَ الجزأين أحدهما بالآخر … وأعاد وضْعَ السهم الفضي في الحقيبة …

بعد أقل من نصف ساعة كان رجال العصابة الثلاثة يستعدون لمغادرة المكان، وكان «عاطف» مقيدًا بحبل متين في الكرسي الذي يجلس عليه … وأمامه على المكتب الذي يتوسط الغرفة ساعة دقاقة قد اتصل بها طرفُ جهاز التفجير … وقد ضبط «جاك» الساعة على ثلاثين دقيقة ينفجر بعدها الديناميت محطمًا كل شيء بما في ذلك «عاطف» …

بعد لحظات سمع «عاطف» الباب الخارجي يُفتح ويُغلق … وأدرك أن الرجال الثلاثة قد غادروا الفيلا … وسمع صوت محرك السيارة يدور … ثم سارت السيارة … وسكن كل شيء … وارتفعت دقات الساعة في الغرفة المغلقة وأخذت الدقائق تمضي تباعًا …

اضطرب «عاطف» في البداية … ولكنه تمالك أعصابه وأخذ يفكر بهدوء … كان يعرف أن لكل دقيقة قيمتها القصوى … وأنه إذا أضاع دقيقة في التوتر العصبي فسوف يفقد فرصة النجاة … ولكن هل كانت هناك فرصة للنجاة؟! إنه يفكر في شيء واحد … أن يحاول الوصول إلى الساعة الدقاقة ويفصل عنها جهاز التفجير … وكيف يستطيع أن يَصِل إلى المكتب؟ وهل نَزْع جهاز التفجير من الساعة مسألة آمنة أو أن الديناميت قد ينفجر إذا أمسك بجهاز التفجير؟ وكيف يمكنه إمساك الجهاز ويداه مقيدتان؟

وكانت الإجابة عن كل سؤال من هذه الأسئلة مشكلة … وكان عليه إذا شاء إنقاذ حياته أن يحلَّها … وبدأ أولًا بمحاولة فكِّ الرباط الذي على فمه … لقد فتح فمه حتى نهايته ثم أعاد إغلاقه وكرر ذلك بضع مرات … وكانت هذه هي وسيلته الوحيدة لمحاولة زحزحة الرباط عن مكانه … وشيئًا فشيئًا بدأ الرباط يتحرك … فتركه مكانه بعد أن أحسَّ بالألم في فكَّيه … ثم بدأ محاولة الزحف بالكرسي إلى الأمام … كان حريصًا على ألَّا يتحرك بسرعة … فقد يسقط على وجهه وتضيع الفرصة إلى الأبد … كان يرتكز على قدمَيه ثم يتقدم … سنتيمترًا بعد سنتيمتر … وكان المجهود شاقًّا … وعضلات ساقَيه وفخذَيه تتوتر

وتؤلمه ... ولكنه كلما نظر إلى الساعة ووجد الدقائق تمضي تباعًا بذل مجهودًا أكثر وتحمَّل آلامًا أشد ... وشيئًا فشيئًا بدأ يقترب من منتصف الغرفة ... وكانت هناك مائدة صغيرة تعترض طريقه ... وبذل مجهودًا جبارًا وهو يحاول زحزحتها بطرف قدمَيه ... وفي النهاية استطاع أن يقلبها ... ثم عاود الزحف مرة أخرى وأخذ يقترب من المكتب ... كان جسدُه كلُّه يرتعش بعد المجهود الذي بذله ... وكان العرق يتصبَّب من جسده ... ولكنه استطاع في النهاية أن يَصِل إلى الساعة، وعاود محاولة إسقاط الرباط عن فمه ... وكاد الرباط يسقط عندما سمع صوتًا ... توقَّف عن المحاولة وأخذ يستمع ... نعم ... هناك صوت أقدام تتحرك في حذر شديد ... هل عاد رجال العصابة مرة أخرى؟ لماذا؟ وسمع صوتًا ضعيفًا يقترب من الباب ... ثم شاهد أكرةَ الباب تدور في حذر شديد وتدفع البابَ قليلًا إلى الداخل ...

ضيف غير منتظر

انفتح الباب ... وظهر وجهان في وقت واحد ... وجه «تختخ» ... ووجه آخر هو وجه «زنجر» ... وتلاقَت عينَا «تختخ» بعينَي «عاطف» ... وعرف «تختخ» على الفور أن الطريق آمن ... فأسرع يدخل ... وأخذ بأصابع مرتعدة يفك وثاق «عاطف» قائلًا: ماذا حدث؟ ... هل هو «هانز»؟ هل أنت بخير؟ رد «عاطف» بطريقته الساخرة بعد أن أزال «تختخ» الرباط من على فمه: بضعة أسئلة أخرى حتى نُعطيَ الديناميت الفرصة للانفجار ...

قال «تختخ» مرتاعًا: ديناميت ...

عاطف: لم يبقَ سوى ثلاث دقائق ونذهب إلى الآخرة ...

وحاول «عاطف» الوقوف وأحس بآلام في جسده كله ... وقال: هذه الساعة التي على المكتب متصلة بجهاز التفجير ... والفيلا كلها ملغمة بالديناميت ...

نظر «تختخ» إلى الساعة ثم قال: إنها تعمل بالتيار الكهربائي ... ومن الأفضل فصل التيار أولًا ... ثم نزع جهاز التفجير ...

عاطف: هيَّا إذن بسرعة ... إن الوقت ثمين ... ولم يبقَ سوى دقائق قليلة ...

أضاء «عاطف» بطاريته الصغيرة وكذلك فعل «تختخ» وانطلق في أرجاء المنزل يبحث عن لوحة الأزرار الكهربائية ... كان الوقت ضيقًا وأعصابه متوترة ... وكان في استطاعتهما أن يغادرَا المكان ويتركاه يُنسَف ... ولكن ذلك سوف يؤدي إلى اختفاء كل الأدلة التي تدين عصابة «هانز»، وأخذ «تختخ» يبحث حتى وجد لوحة الأزرار وأسرع ينزعها واحدًا واحدًا وساد الظلام ... ثم تلمَّس طريقه على ضوء البطارية ودخل الغرفة، ووجد «عاطف» يحاول فكَّ جهاز التفجير، وبعد لحظات كانَا قد انتهيَا من هذه المهمة ... وعاد «تختخ» إلى لوحة الأزرار، فأعادها إلى مكانها وعاد النور مرة أخرى ...

جلس «تختخ» إلى المكتب وأخذ ينظر حوله ... ويقول لا بد أن هناك أدلة تهمُّ العصابة وإلا ما حاولوا نسْفَ الفيلا ... وفي الوقت نفسه كان «عاطف» يجلس على الأرض محتضنًا «زنجر»؛ فقد كان متأكدًا أن هذا الكلب الأمين هو الذي أنقذ حياته ... فبرغم الجراح المصاب بها ... وبرغم تعبه وجوعه أحضر «تختخ» في مدة قياسية ... ولو تأخر لحظات لكانت العاقبة سيئة وانتهت حياته تحت الأنقاض ...

قال «عاطف»: هل أكل «زنجر»؟

رد «تختخ»: لقد رفض أن يتناول أيَّ شيء حتى أصحبه ونأتي إليك ...

أسرع «عاطف» إلى مطبخ الفيلا ووجد الثلاجة حافلة بالأطعمة ... فأخرج قطعة كبيرة من اللحم المشوي سخنها على البوتاجاز وعاد بها سريعًا إلى «زنجر» ووضع أمامه إناء من الماء ... وانهمك «زنجر» في الطعام ... وانهمك «تختخ» و«عاطف» في البحث عن الأدلة في الغرفة وفي بقية أنحاء الفيلا حتى وصلَا إلى المخزن ... وقال «عاطف»: هناك مخبأ تحت المخزن كان «هانز» يستخدمه في نشاطه السري ...

وأخذ الصديقان يعملان في إزاحة البراميل يمينًا ويسارًا حتى استطاعَا الوصول إلى فتحة المخبأ السري ... وبعد محاولات عديدة استطاعَا فتح الباب ... ونزل «عاطف» على سُلَّم من الحديد وأخذ يتلوَّى به حتى وجد نفسه على قاعدة السلَّم الخراسانية ... ودقَّ على السلَّم الحديد بمصباحِه ... وسمع «تختخ» رنة الدقة فعرف أن الطريق آمن ... ونزل هو الآخر على السلَّم ...

كان المخبأ السري عبارة عن غرفة صغيرة ... قد امتلأت بأجهزة الاتصال اللاسلكي الدقيقة ... وأخذ «تختخ» يبحث عن جهاز التهوية حتى وجد أنبوبة طويلة تمتد خلال الجدار في اتجاه سطح الأرض ... وعرف أن «الإيريال» موجود داخل هذه الأنبوبة ... وأحس بخطورة ما يفعله «هانز»، وأخذ يفحص الأجهزة واحدًا بعد الآخر، ولاحظ أن أحدها ينقصه الجزء الأخير ... فقال لـ «عاطف»: لقد أخذوا بقية هذا الجهاز معهم ...

عاطف: هذه ملاحظة هامة ... إن ما تصوَّرَتْه «سماء» أنه سهم فضي ليس إلا هذا الجزء من الجهاز، ويبدو أنه جهاز ثمين جدًّا ... حتى يحرص «هانز» على أخذه معه ولا يتركه للتدمير ... كبقية الأجهزة ...

تختخ: لقد ظنناه أولًا جهازًا خاصًّا بتطوير الصواريخ ... ولكن قد عرفنا الآن أنه جزء من جهاز اللاسلكي الرئيسي في هذا المخبأ ...

عاطف: يجب أن نبلغ المفتش «سامي» فورًا ...

تختخ: نعم ... والشيء المدهش أنني لم أرَ جهازًا للتليفون في هذا المكان مطلقًا.

عاطف: وأنا أيضًا ... ويبدو أنهم اختاروا هذه الفيلا دون تليفون حتى لا يستطيعَ أحد مراقبة مكالماتهم التليفونية ...

تختخ: في هذه الحالة يجب أن نعود إلى المنزل فورًا لنتحدث إلى المفتش ...

عاطف: لقد تجاوزت الساعة الثانية صباحًا ... وسنجد المفتش نائمًا ...

تختخ: حتى ولو كان نائمًا المسألة أهم من شيء آخر ... هيا بنا ... برغم أنني كنت أتمنى أن أقضيَ بعض الوقت في هذا المكان فمن المؤكد أن هناك أدلة كثيرة يمكن أن تقودنا إلى «هانز» ورجاله ...

عاطف: يمكن أن نأتيَ في الصباح ... فأنا مرهق جدًّا!

تختخ: آسف جدًّا ... لقد نسيت كم عانيتَ هذه الليلة ... وقد انتظرناك في الموعد وأحسسنا بالقلق البالغ عليك ... لولا حضور «زنجر» ...

وقام الصديقان ... وبدأ «عاطف» الصعود ... وكانت في انتظاره أسوأ مفاجأة في حياته ... كان الباب المؤدي إلى النفق السري مغلقًا ... ومد «عاطف» يده وحاول إزاحة الباب ... ولكن دون جدوى كان الباب يُغلق أوتوماتيكيًّا ...

صاح «عاطف» بضيق: «تختخ» هناك كارثة في انتظارنا ...

ورنَّ صوتُه العالي في أرجاء النفق وتردَّد الصدى في جوف الليل الساكن وعاد ينزل ... كان «تختخ» في انتظاره وقد ضاقَت عيناه غضبًا، وقال: إننا حماران كبيران ...

عاطف: لا تظلم الحمير بهذا التشبيه ...

تختخ: سأحاول أنا ... لعل هناك فتحة أو شيئًا من هذا القبيل ...

عاطف: حاول ولكني أظن أننا سجينان هنا ... ربما بقية العمر ...

تختخ: لا تكن متشائمًا إلى هذا الحد. لا تنسَ أن «زنجر» ما زال فوق ...

ابتسم «عاطف» بالرغم منه ... صحيح أن «زنجر» ما زال موجودًا ... وكما أحضر «تختخ» لإنقاذه ... فسوف يُحضر بقية المغامرين ...

وصَعِد «تختخ» السلَّمَ ببطء حتى وصل إلى نهايته وأخذ يبحث عن أي شيء يمكن أن يفتحه ولكن بلا فائدة ... وتأكَّد أن «هانز» كان معه مفتاح؛ لأنه وجد ثقبًا في طرف الباب لم يشكَّ لحظة واحدة أنه ثقب المفتاح.

أخذ «تختخ» يدق الباب بكل قوته ... كان يريد أن يلفت انتباه «زنجر» إليهما فقد يظن «زنجر» أن صديقَيه يقومان بعمل وعليه أن ينتظرهما ... وأخذ «تختخ» يدق وينادي في الوقت نفسه: زنجر ... زنجر ...

ولم تمضِ سوى لحظات قليلة وسَمِع نباحَ الكلب الذكي قريبًا من الباب المغلق ... صاح «تختخ»: اذهب يا زنجر. فورًا ... أحضر «محب» ...

عاد الكلب إلى النباح الحزين ... ثم دقَّ بقدمَيه فوق الباب الحديدي المغلق ثم انطلق خارجًا ... ونزل «تختخ» السلَّم مرة أخرى ... كان «عاطف» يفتش كلَّ ركن في المخبأ السري بحثًا عن أدلة ... جمع أعقاب السجائر ... وكانت كلها من ماركة «ميريت»، وهو نوع من السجائر لم يسمع عنه من قبل ... ولاحظَ وجود بصمات على بعض الأجهزة ... وقال «تختخ» أظن من الأفضل ألا نعبث بهذه الأجهزة فهناك بصمات واضحة عليها ...

تختخ: ليس هذا فقط ... ولكن قد يستطيع رجال المفتش «سامي» معرفة الجهات التي كان يتحدث إليها «هانز» بوساطة الموجات ... فإذا كانت أطوال الموجات ...

قبل أن يُتمَّ «تختخ» جملتَه سمع الاثنان معًا صوتَ ضفدعة واضحًا في الدهليز الرطب، كانت الضفدعة قد دخلت من فتحة التهوية وأخذَت تقفز داخله ... كانت ضفدعة ضخمة ... فقال «عاطف»: إن الحشائش النامية في الحديقة الرطبة مأوًى لهذه الأنواع من الضفادع الضخمة ...

تختخ: وربما ...

ومرة أخرى لم يُتمَّ جملته ... فعلى أسمنت فتحة التهوية انساب ثعبان ضخم رافعًا رأسه ... وكان واضحًا جدًّا أن الثعبان كان يطارد الضفدعة وأنه زحف خلفها من الحديقة إلى فتحة التهوية ... وقال «تختخ» بهدوء برغم خطورة الموقف: انظر إلى فتحة التهوية يا «عاطف» ...

وكان «عاطف» قد ترك النظر إلى الضفدعة وأخذ يعاود البحث عن الأدلة ... ولكنه لم يرفع رأسه وقال: ماذا هناك؟

رد «تختخ»: ثعبان ضخم ...

والتفت «عاطف» سريعًا ... ورأى الثعبان وقد توقَّف أمام الضوء وأخذ يهزُّ رأسه يمينًا ويسارًا، وقال «عاطف»: إنه جائع جدًّا، وأعتقد أنه لن يتردد في الهجوم.

تختخ: لا تخف ... إن ٩٥ في المائة من الثعابين ليست سامة ... وحتى لو كان سامًّا فإنه لن يهاجمنا إلا إذا هاجمناه ...

أخذت الضفدعة تقفز هنا وهناك ... وانساب الثعبان من فتحة التهوية ونزل إلى أرض الدهليز ... ووقف الصديقان وقد ارتفعت دقاتُ قلبَيهما ... فبرغم حديث «تختخ» المطمئن ... فإن وجود ثعبان مع شخص في مكان مغلق ليس مسألةً سهلة ...

زحف الثعبان في اتجاه قدمَي «تختخ» حيث كانت الضفدعة تقف هناك ... وهي تفتح فمها وتغلقه ... وأحس «تختخ» بالرعشة تسري في ساقَيه ... إنه لا يريد أن يقفز حتى لا يهيجَ الثعبان ... وفي الوقت نفسه لا يستطيع أن يقف ساكنًا والثعبان يقترب منه ... وتحرك بهدوء في اتجاه الكرسي الذي يتوسط الغرفة ثم صعد عليه بخفة لا تتناسب مع وزنه الثقيل ولكن الضفدعة اللعينة أخذت تقفز حتى وصلت إلى الكرسي أيضًا، وقال «تختخ» حانقًا: يا لَها من ضفدعة سخيفة ... لماذا تطاردني؟ ...

لم يتمالك «عاطف» نفسه، وقال بسخريته المعهودة ... لعلها تريد أن تقنع الثعبان أنك أوفر منها لحمًا وألذ طعمًا ...

تختخ: أنت أسخف من الضفدعة ... هل هذا وقت هزار؟! ...

وبدأ الثعبان يقترب ويقترب ... كان طوله نحو متر ونصف ... أسود اللون، ولسانه المشقوق يسبقه كأنه رادار يقود حركته ...

سيدتي العزيزة

كان مصير «تختخ» تُحدده قفزات الضفدعة ... فلو سقطت مرة واحدة تحت قدمَيه لتعرَّض لموت أكيد إذا كان الثعبان سامًّا ... وقفزت الضفدعة حتى أصبحت تحت قدمَي «تختخ» مباشرة ... وأقبل الثعبان يسعى ... وأحس «تختخ» بأطرافه تتثلج والثعبان يقترب منه ... ولكن الضفدعة كانت أرحمَ مما توقع «تختخ»؛ فقد قفزت مبتعدة، وقال «تختخ» وهو يتنهد: أفضل مكان نذهب إليه الآن هو السلم الحديدي ...

وأسرع الاثنان إلى السلَّم وتسلَّقاه ... ووقفَا يرقبان المطاردة بين الثعبان والضفدعة ولكنهما لم يستمتعَا طويلًا بهذه المطاردة المثيرة ... فقد سمعَا نباح «زنجر» مرة أخرى ... لقد قام الكلب الأسود الذكي بواجبه وعاد ومعه مَن ينقذهم ... وفعلًا سمعَا صوت أقدام ثم سمعَا صوت «محب» ينادي: «توفيق» ... «عاطف» ...

صاح «عاطف»: نحن هنا ...

وسمعَا صوت أقدام «محب» وهي تقف فوق باب السلَّم ... ويداه تدوران هنا وهناك ... ثم شاهدَا الباب يتحرك ... وصعدَا بسرعة ... كان «محب» واقفًا ممسكًا بباب الدهليز السري وهو ينظر بدهشة إلى صديقَيه يخرجان من تحت الأرض ...

قال «محب» مندهشًا: ماذا حدث؟

رد «عاطف»: إن ما حدث لا يمكن روايته الآن ... نريد الاتصال بالمفتش «سامي» فورًا ...

وخرج الثلاثة ... وأسرع «تختخ» يحتضن «زنجر» ... فقد أنقذ «عاطف» أولًا ثم أنقذهما معًا ... وأسرع الثلاثة إلى دراجاتهم ... ووضع «تختخ» «زنجر» في دراجته داخل السلة كالعادة ... وانطلقوا في الليل بأسرع ما يمكنهم في الطريق إلى منزل «عاطف» ...

فهناك وصلة للتليفون في كشك الحديقة الصيفي ... ووصلوا إلى هناك ... وتسللوا إلى الحديقة ... وفتحوا الكشك ... وأسرعوا إلى التليفون ... كانت لحظة محرجة جدًّا لـ «تختخ» وهو يرفع السماعة ويطلب المفتش ... كانت الساعة قد تجاوزت الثانية صباحًا ... ولكن الواجب هو الواجب ... وأخذ يُدير قرص التليفون ... وسمع الجرس وهو يدقُّ في الجانب الآخر ولم يستمرَّ الدقُّ طويلًا ... وسمع صوت المفتش المثقل بالنعاس يرد ... وقال «تختخ» على الفور: آسف جدًّا يا سيدي لإزعاجك ...

قال المفتش: توفيق ... ماذا حدث؟

تختخ: أشياء كثيرة جدًّا ... ولكن المهم الآن أننا عثرنا على مقر «هانز» وعصابته، ومن المؤكد أنها عصابة تجسُّس خطيرة جدًّا ... وهم ثلاثة رجال ...

استيقظ المفتش تمامًا عند سماع هذه الأنباء وقال: من أين تتحدث؟

تختخ: من المعادي ...

المفتش: وأين مخبأ هؤلاء الجواسيس؟

تختخ: في المعادي أيضًا ...

المفتش: سأكون عندك بعد نصف ساعة على الأكثر ...

تختخ: المهم أن تُصدر أوامرك بالقبض عليهم ... لقد غادروا المعادي منذ أكثر من أربع ساعات ...

صمت «المفتش» قليلًا ثم قال: هل عندك أية فكرة عن اتجاههم ...

تختخ: لا ... ولكن كما فهمته من «عاطف» فقد صدرت لهم الأوامر بمغادرة مصر فورًا ... ومعنى هذا أنهم يستعدون للسفر ... أو على وشك السفر ...

المفتش: عظيم ... في هذه الحالة تعالوا أنتم ... لقد شاهدت أنت «هانز» مرة ...

تختخ: «عاطف» أهم مني ... لقد عاش معهم بضع ساعات ... ويعرف شكلهم جميعًا ...

المفتش: هل يمكنكم الحضور إلى مديرية الأمن؟

تختخ: بالطبع ...

المفتش: هذا أفضل من إرسال سيارة إليكم فذلك سوف يستغرق وقتًا ...

تختخ: سنبحث عن تاكسي ونأتي فورًا ...

خرج الأصدقاء الثلاثة إلى الشارع واتجهوا مشيًا إلى كورنيش النيل ... وفوجئ «تختخ» بأن «زنجر» يتبعهم ... وتردد قليلًا ثم أخذه فقد يحتاجون إليه ...

وجدوا تاكسيًا نام سائقه فيه ... فأيقظوه ... وسرعان ما كان التاكسي يحملهم إلى القاهرة ... كانت الشوارع خالية فلم تمضِ ربع الساعة حتى كانوا جميعًا يصعدون سلَّم المبنى الضخم في باب الخلق ... وكان المفتش قد أرسل أحد الضباط ينتظرهم ... فقادهم فورًا إلى مكتبه ...

تبادلوا تحية سريعة ... ثم تحدث «عاطف» فشرح لـ «المفتش» كل المغامرة الليلية التي مرَّ بها وحده ... ثم التي مرَّ بها مع «تختخ» ...

فكَّر «المفتش» لحظات ثم قال: لو كنت مكانهم فماذا كنت تفعل؟

عاطف: كنت أتجه فورًا إلى مطار القاهرة ... فهذا أقرب مكان لمغادرة مصر ...

المفتش: معك حق ... سنذهب الآن إلى المطار ...

وأضاف المفتش وهو يغادر مكتبه ... وقد أصدرت أوامري إلى جميع الجهات في مصر لمراقبة هؤلاء الثلاثة ... وقد أعطيتُ وصفًا لـ «هانز» وهو الرجل الوحيد فيهم الذي أعرف بعض الأوصاف له ...

تختخ: لقد غيَّر من ملامحه ...

المفتش: إذن لا أملَ لنا إلا أنتم ... هيَّا بنا ...

ركب الجميع سيارة المفتش ... وقفز «زنجر» معهم ... وانطلقت خلفهم سيارة أخرى تحمل بعض الضباط ... وأخذت السيارتان تشقَّان الطريق إلى المطار، وكان الجو رائعًا هذه الساعة المبكرة من الصباح ... فقد كانت الساعة تُشرف على الثالثة ...

وصلوا المطار ... كانت الحركة فيه هادئة ... واتجهوا إلى غرفة الضباط الذين استقبلوا المفتش «سامي» باحترام شديد ... وقال أحدهم: لقد وضعنا رجالنا في كل مكان للبحث عن الثلاثة ...

المفتش: قد يسافر كلٌّ واحد على حدة ... إنهم جواسيس على درجة كبيرة من المهارة وقد يتفرقون حتى لا يُثيروا الانتباه ... وقد يتنكرون أيضًا ...

الضابط: معك حق يا سيدي ...

المفتش: ونحن أيضًا سنتجول في المطار متفرقين حتى لا نلفتَ الأنظار، ما هي أول طائرة تغادر المطار ...

الضابط: طائرة شركة الخطوط الجوية السعودية المتجهة إلى «لندن» ... والثانية طائرة شركة مصر للطيران إلى «أثينا». والثالثة شركة طيران «الخليج» إلى الكويت ...

المفتش: أُرجِّح أنهم سيركبون إحدى الطائرتين إلى «لندن» أو «أثينا» ... وخرج الجميع ... وسار «زنجر» بجوار «تختخ» وتفرقوا في المطار ...

أما «عاطف» ... فقد كان يبحث هنا وهناك عن شيء لم يلتفت إليه الجميع ... كان يبحث عن عقب سيجارة من طراز «ميريت» الذي عثر على بقاياها في الدهليز السري ... ولم يكن ذلك بالمهمة السهلة في هذا المطار الواسع ... فكان يتجه إلى أماكن طفايات السجاير المنتشرة في أرجاء المطار ويفتش فيها ... ولم يكن البحث عن هذا النوع من السجاير صعبًا ... فقد كان يتميز بفلتر ذي لونين: أصفر وأبيض ... وليس هناك سيجارة أخرى لها هذا الطابع ... وقد كان «عاطف» محظوظًا؛ فهو لم يعثر فقط على عقب سيجارة ... ولكنه عثر على علبة فارغة من سجاير «ميريت» وهي علبة بيضاء عليها ثلاثة خطوط هي الأصفر والأصفر الغامق والبُني ... وعليها أسدان واقفان.

اتجه نظر «عاطف» إلى بعض المسافرين الجالسين ... كانوا مجموعة من السيدات ورجلَين أحدهما واضح أنه عامل مصري مسافر إلى الكويت ... والثاني أحد رجال الدين وتركهم «عاطف» دون أن يلحظوه ... وأسرع إلى غرفة الضابط، وقال: أرجو أن يستدعيَ أحدُكم المفتشَ «سامي» وصديقي الذي معه الكلب ...

وخرج أحد الضباط ... وغاب قليلًا ثم حضر ومعه المفتش ... فقال «عاطف»: أعتقد أنني قد عثرت على «هانز» ...

قال المفتش باهتمام شديد: أين؟

عاطف: إنه يدخن نوعًا نادرًا من السجاير اسمه «ميريت» وقد وجدتُ بقاياه في المخبأ السري ... والآن وجدتُ علبة فارغة منها ...

المفتش: قد تكون لشخص آخر ... فليس «هانز» وحده الذي يدخن «ميريت» ... فقد يتصادف أن يكون هناك شخص آخر ...

عاطف: هذا ممكن طبعًا.

المفتش: ولكن لا بد من المحاولة ...

خرج «المفتش» و«عاطف» وأحد الضباط ... واتجهوا إلى حيث أشار «عاطف» ولم يكادوا يقتربون من مجموعة النساء حتى تحركت إحداهن في هدوء تحاول الابتعاد ... ولم يتردد المفتش «سامي»؛ فقد أخرج مسدسه وقال بحسم: «هانز» لا داعي للمحاولة ... إن رجالي يملئون المطار ...

وأخذ بقية الركاب ينظرون بدهشة بالغة إلى المفتش وهو ينزع الشعر المستعار من على رأس السيدة ... فيبدو وجه رجل شرس قد وقع في هاوية اليأس ...

قال «المفتش»: أين زميلاك؟

هانز: إنهما هنا ... دخلَا دورة المياه للاختباء لحين إقلاع الطائرة.

انطلق رجال المفتش «سامي» إلى دورة المياه وعادوا بالرجلَين ... وفي غرفة ضابط أمن المطار اجتمع الجميع ... وقال المفتش «سامي»: إنها نهاية هادئة لقصة مثيرة وإنني أشكر المغامرين الخمسة على ما قاموا به من جهد ...

قال «تختخ» مبتسمًا وهو يربت ظهر «زنجر»: ربما كان الأكثر استحقاقًا للشكر هو «زنجر» ...

المفتش: نعم ... إنه يستحق الكثير ... وقد نجح قبل ذلك مرات في مساعدتنا ... والآن عودوا إلى منازلكم وسأراكم في الصباح وقد أرسلت رجالي لتفتيش الدهليز السري ...

ولاحَت تباشير الفجر والسيارة تحمل المغامرين الثلاثة و«زنجر» إلى المعادي بعد أن أنجزوا مهمة صعبة ... وكشفوا عن لغز السهم الفضي ...



هنـــداوي